الذي يمكن من تحقيق أفضل النتائج والاقتراب من الاهداف النهائية وبأقل تكلفة ممكنة، خاصة إذا كانت التكلفة الانخراط في صراع مسلح على نطاق واسع، وإذا كانت البيئة الدولية غير مناسبة للانخراط في هذا الصراع؛ إذ تشير الوقائع الدولية والاقليمية أن البيئة السياسية تتعرّض لتغيّرات جوهرية وجذرية يصعب استمرار الصراع في ضوئها على نمط الأساليب والطرق عينها المتبعة قبلها، بل إنه قد يصعب المحافظة على الأهداف المباشرة والقريبة للصراع. ومع هذه التغيرات قد يكون من المناسب إجراء تغيير في صياغة أهداف وأساليب الصراع بما يجعلها أكثر قبولاً لدى هذه البيئة، حتى وإنْ ظل جوهرها ثابتاً.

المتغيرات الدولية

لقد دفعت مجموعة من التغيرات الدولية والاقليمية الصراع العربي ـ الاسرائيلي بعامة، والقضية الفلسطينية، لبّ هذا الصراع، بصفة خاصة الى المرحلة الجديدة التي يمكن تلخيصها في التحرك نحو الوصول الى تسوية انتقالية للصراع. وتشتمل هذه المجموعة على متغيرات دولية واقليمية ومحلية بعضها أدى الى الآخر، بينما البعض الآخر سار موازياً لها. ويمكن تلخيص أهم هذه العوامل بزوال الاتحاد السوفياتي وتفكك حلف وارسو، والآثار الواضحة لحرب الخليج، والانتفاضة الفلسطينية، والهجرة اليهودية الثانية.

انهيار الاتحاد السوفياتي وتفكك حلف وارسو

لسنا، هنا، بصدد تقييم هذين الحدثين الكبيرين على المستوى العالمي، ولكن الهام هو تقدير أهميتهما بالنسبة للقضية الفلسطينية كجوهر للصراع العربي ـ الاسرائيلي. فلا شك أن كلاً من الاتحاد السوفياتي وحلف وارسو شكّلا دعماً هاماً للحقوق العربية والفلسطينية منذ منتصف عقد الستينات حتى منتصف عقد الثمانينات؛ وكان الدعم السوفياتي معيناً لدول عربية مثل مصر وسوريا والعراق والجزائر قبل ذلك، وهي الدول التي تولّت مسؤولية إدارة الصراع العربي ـ الاسرائيلي والقضية الفلسطينية قبل مؤتمر القمة العربي الأول. هكذا، فإن انهيار الاتحاد السوفياتي وتفكك حلف وارسو يعني أن القضية الفلسطينية والصراع العربي ـ الاسرائيلي ككل فقدا سنداً سياسياً وعسكرياً هاماً، مكّنهما من التمسك بموقف متشدد وثابت عند مبادىء ترفض الوجود الاسرائيلي عند البعض، وهو أمر لم يكن الاتحاد السوفياتي ولا دول حلف وارسو يؤيدونه، ولكنهم، بالقطع، لم يكونوا مستعدين لمعارضته، في حين كانت مطالبة البعض الآخر بالانسحاب الكامل من على الاراضي المحتلة العام ١٩٦٧ تلقى التأييد من كليهما. وما هو هام، أن دعم الكتلة الشرقية، إن صح التعبير، مكّن الدول العربية والشعب الفلسطيني بصفة خاصة من التمسك بحد أدنى من اقامة دولة فلسطينية على الأراضي المحتلة العام ١٩٦٧ من فلسطين، وان انهيار هذه الكتلة يتطلب إعادة النظر في ما إذا كانت البيئة الدولية تتحمل وتتقبل مثل هذا الأساس النظري لادارة الصراع.

كذلك، فإن الدعم العسكري من الكتلة الشرقية بعامة، والاتحاد السوفياتي بصفة خاصة، صوّر لدول عربية امكان ادارة الصراع المسلح على نطاق واسع ضد اسرائيل في حال عدم جدوى ادارة الصراع بوسائل أخرى خاصة، وان هذا الدعم اشتمل على دعم قوات الأطراف العربية أحياناً بوحدات جوية وصاروخية ووجود عسكري بحري. وعلى الرغم من ان هذا الأمر قابل للمناقشة، وهو، في حقيقته، لم يمثّل أكثر من قدرة على إدارة دفاع ثابت ولا يشكل قدرة على استرداد الأراضي المحتلة وخاصة الأراضي المحتلة العام ١٩٤٨، فإن تصوير الصراع على انه صراع وجود كان مقبولاً؛